

القيم الجمالية فى المصنوعات اليدوية السودانية (الخزفية) نموذجاً

صلاح الطيب أحمد إبراهيم

جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا - كلية الفنون الجميلة والتطبيقية - تصميم وطباعة المنسوجات

المستخلص :-

هدفت هذه الدراسة إلى التعريف بالمصنوعات الخزفية اليدوية السودانية مع توضيح أهميتها من الناحيتين النفعية والجمالية ولفت نظر المصممين لأهمية التراث السودانى وإبراز قيمه الجمالية والإستفادة منه فى تعزيز أعمال التصميم . كما هدفت أيضاً إلى توضيح آخر ما وصلت إليه هذه المصنوعات ليديوية الخزفية من تطور وفقاً للمستجدات التى حدثت فى وسائل الحياة المختلفة ، خاصة فى أشكالها التقنية والتكنولوجية ، هذا بجانب إظهار السمات الإبداعية والفكرية ومعرفة الطرق والأساليب الفنية والممارسة الصناعية من حيث أنواعها وخاماتها وألوانها المستخدمة فى صناعتها ، بجانب التعرف على أنماطها المختلفة وما حققه هذا الحرفى من تطوير وتجويد لهذه الأعمال المرتبطة بمجال الإبداع الفنى . ولقد إعتد الباحث فى جمع البيانات والمعلومات على الزيارات الميدانية والمقابلات الشخصية والعديد من المراجع واستخدام أسلوب المنهج الوصفى التحليلى ، حيث تم إختيار مجموعة من النماذج المختلفة بقصد تحليلها من الجوانب الفنية ، ولقد أسفرت الدراسة على نتلج هامة أثبتت أن حرفة الأعمال الخزفية اليدوية فن راق ، يرقى إلى مصاف الفنون العالمية بإعتباره رافداً من روافد الفنون التشكيلية الجميلة والتطبيقية ويؤكد الأصالة والهوية السودانية .

الكلمات المفتاحية :- التراث ، الحرفى ، الفنون التشكيلية

ABSTRACT:

This study aimed at introducing sudanes handmade ceramic products highlighting its importance both in terms of its utility and aestheticism, drawing the attention of designers to the importance of Sudanese heritage by displaying its aesthetics values and to benefit from it in reinforcing the design works. The study also aimed to highlight the latest developments arrived at in the field of handmade ceramic, in line with the recent developments that occurred in different aspects of life particularly in various technical and technological aspects. In addition to demonstrate the innovative and creative features, exploring also the technical methods and approaches as well as industrial practices in terms of their types, raw materials colours used in manufacturing handmade ceramics, besides identifying their various patterns, what has been achieved by a craftsman in developing and improving this at in terms artistic innovation. The researcher in order to collect data and information, has depended on the field visits, personal intirrvews and reverferences, the descriptive analytical method was adopted, aset of models have been chosen so as to analyse them technically. The study has arrived at important results: It has confirmed that pottery as a handicrafts is sophisticated art, it is aglobal art, it is viewed as atributary of fine and atributary and it reinforces Sudanese autherticity and identify.

Keywords: (heritage, craftsman . Applid Art)

المقدمة :-

تعتبر صناعة الفخار في السودان ، واحدة من أقدم الصناعات اليدوية التي تواصل صمودها رغم رياح التغيير ، محتفظة بروادها ومستخدميها ويمارس عدد كبير من الحرفيين مهنة تصنيع العديد من الأواني من الطين عن طريق اليد أو عن طريق العجلة وهي " آلة تدار بالقدم عن طريق السير " . وتعتمد مهنة صناعة الفخار اليدوي على المهارة والسرعة التي يجب أن يتمتع بها كل من يعمل في هذا المجال ، فهي صناعة تقليدية لكنها تمثل جزءاً مهماً من حضارة وتراث السودان ، وحتى الآن ما تزال هذه المهنة رائجة ومنطورة .

alsolaab. Goodbb. Net>t1350 – topic

فتاريخ صناعة الفخار اليدوي في السودان ضارب بجذوره في أعماق التاريخ ولأن الفخار كان رفيق درب البشر من الميلاد حتى الوفاة ، لذلك لم تقتصر صناعته على مجرد تلبية إحتياجات الإنسان في توفير الأواني للمأكل والمشرب والتخزين ، وإنما تعدت الوظيفة لتدخل إلى حيز العمل الفني . (نزمين خفاجي ، 2014 ، ص 17) . عليه فمن الصعب أن نتدثر هذه الصناعة وما يزال الناس يستعملون منتجاتها في حياتهم اليومية كجزء من الحاجة الحقيقية والتقاليد الأصيلة . والشاهد على إبداع الحرفي السوداني في هذا المجال ما تحويه أروقة المتاحف من مصنوعات فخارية وأطباق للأكل وأواني وأزيار للشرب . وقديماً وفي العصر النبوي ، عندما يدفن الشخص ، كانت تدفن معه كل متعلقاته بما فيها الأواني الفخارية ، لذا عندما تماثلتقيب عن الآثار وجدت هذه الأواني وكانت بمثابة أدلة لتاريخ ماضي أسهم بشكل وافر في فهم السمات الحضارية لأهل النوبة القديمة sudan.com.WWW.inthecity

وفي السودان لا يقتصر استخدام الفخار على تزيين وديكور المنازل فحسب ، إنما هو مُلُوب حياة ، فما زال " الزير " وعاءاً مصنوعاً من الفخار لحفظ الماء وتبريده ، يحتل جزءاً كبيراً من حياة السودانيين ، خاصة البسطاء منهم حيث لا يخلو مسجداً أو مدرسة من " الزير " الذي يمتاز بتبريد الماء (أنظر الصورة رقم 1 ص 71) .

فالزير يشكل العمود الفقري في صناعة الفخار في السودان و" المزهريات " وهي (أوعية الزهور والشجيرات الصغيرة) تحتل المرتبة الثانية في سوق الفخار ، فالأصيص المصنوع من الفخار له عدة أشكال وأنواع منها المرتبط بالتراث ، ومنها المرتبط بالأشكال العصرية الحديثة المنسجمة مع حياة اليوم ، ومن أدوات الفخار التي حافظت على الهوية التراثية السودانية ، (المباخر) التي لم تتأثر رغمًا عن المؤثرات القوية ، فهناك المبخر التقليدي الذي يحتل مكانة مميزة في قلب سيدة المنزل ، ولقد برع الحرفي السوداني في إنتاج هذه المباخر بأشكال متنوعة وأضاف إليها الزخارف والنقوش مما أضفى عليها قيمةً جماليةً فاقت المستورد والحديث ، ولا زالت إبداعاته مستمرة حتى هذا التاريخ . aawasat.com>home>article

مشكلة البحث :-

تتمثل في السؤال التالي :-

هل يمكن اعتبار المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية رافداً من روافد الفنون الجميلة والتطبيقية ، واعتبارها مصدراً من المصادر التي تثرى وتعزز من أعمال الزخرفة والتصميم .

أهداف البحث :-

- 1- تأكيد أهمية المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية كأحد أهم رافد من روافد الفنون الجميلة والتطبيقية .
- 2- تشجيع المصممين وحثهم على البحث في المصنوعات اليدوية السودانية التقليدية المختلفة .
- 3- دعم جهود المصممين في تعزيز أعمالهم التصميمية بالمزيد من الوحدات الزخرفية التراثية وألوانها لإبراز الأصالة والهوية السودانية .

أهمية البحث :-

إبراز الهوية السودانية الأصيلة في مصنوعاتنا الخزفية اليدوية في كافة أشكالها وأنواعها وإبراز قيمها الجمالية والفنية من حيث الأسلوب والممارسة في استخدام الألوان والوحدات الزخرفية ، وتأكيد عالمية فن مصنوعاتنا اليدوية .

فروض البحث :-

يمكن الإستفادة من القيم الجمالية في مصنوعاتنا الخزفية اليدوية وإعتبارها مصدراً من المصادر التي تثري أعمال الزخرفة والتصميم وإبراز الهوية السودانية الأصيلة .

منهج ومختصر إجراءات البحث :-

سينتج الباحث المنهج الوصفي التحليلي ، بإعتباره منهجاً يتوافق مع طبيعة البحث ، حيث يتحرى ويتابع المشكلة ويتعرف على حقيقتها عن طريق المقابلات الشخصية في مواقع الإنتاج ومن خلال الرصد لأعمال اليدوية ذات الصلة بموضوع البحث وتحليل قيمها الجمالية لغاية الوصول للنتائج المرجوة . فضلاً عن ملاحظات الباحث والمعلومات ذات الصلة من المراجع الأساسية والثانوية والكتب والمجلات والمتاحف والأسواق والمتاجر التي تتعامل مع هذه المصنوعات .

أدوات الدراسة : المقابلات الشخصية :-

ستكون المقابلات مع ذوى الإختصاص والخبرة وعدداً من الحرفيين .

الدراسات السابقة :-

- 1-دراسة (ليلي مختار أحمد آدم ، 2007م) بعنوان (إستخدام طينة مروى في إنتاج الخزف الصناعتى) (دراسة تحليلية تطبيقية) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية .

هدفت الدراسة إلى الآتى :-

- دراسة الأطنان لإستخدامها في صناعات الخزف الصناعتى .
- تحديد إمكانية إستخدام هذه الأطنان للنواحي الأخرى مثل صناعة الأوانى والتحف .
- توفير خامة محلية لإنشاء صناعات .
- إحياء خبرات محلية للصناعات المحلية في هذا المجال .

أهم نتائج الدراسة :-

توصلت الدراسة من خلال التحليل الكيميائي إلى وجود إرتفاع نسبي فى تركيز الكالسيوم والماغنيزيوم والذى قد يؤدى إلى تهشيم الجسم الخزفي كما يحدث أحياناً ، كما تميزت عينات طينة مروى بإرتفاع نسبة الألومينا مما يكسبها خواص هيدروليكية جيدة عند تحويلها إلى أجسام خزفية .

2/ دراسة (حيدر عبد القادر أبكر عبدالله ، 2008م) بعنوان (أثر إستخدام طين أراضى ولاية الخرطوم فى جودة إنتاج الخزفيات) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية .

هدفت الدراسة إلى الآتى :-

1- معرفة المعطيات التشكيلية لأطيان ولاية الخرطوم ودورها فى إثراء وجوده إنتاج الخزفيات ومعرفة التراكيب الكيميائية لأطيان ولاية الخرطوم وأثرها فى عمليات إنتاج الخزفيات .

أهم نتائج الدراسة :-

• إمكانية الإستفادة من أطيان جبل طورية ، جبل البعشيم ، طمى النيل اللزج فى عمل خلطات متعددة لتصنيع الخزف المسامى منخفض الحرارة .

• غسل الطين وتصفيته وتعتيقه قبل الإستخدام يحسن من خصائص الطين .

• أطيان منطقة المقرن تمتاز بالزوجة العالية ، يمكن الإستفادة منها فى عمل الخلطات الطينية أو الزجاجية بعد معالجتها بالغسيل كما لها قوة ميكانيكية كبيرة تزيد من متانة القطع الخزفية .

3/ دراسة (فوزى عثمان مصطفى إبراهيم ، 2009م) بعنوان (جماليات الخزف وطبيعة الأشياء) (دراسة تحليلية تطبيقية) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية .

هدفت الدراسة إلى الآتى :-

• تعريف الخزف كصناعة وإبراز النواحي الجمالية التجريدية .

• إستدراج المتلقى لإكتشاف للمسات الفنية التى يتميز بها العمل الخزفى .

• تطوير بعض الموروثات الشعبىة ولستخدامها فى الديكور والتصميم الداخلى بما يتفق مع الطابع والواقع السودانى .

• إستخدام المواد الخام المحلية فى تصنيع الخزف .

• تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الجوانب الوظيفية للآنية الخزفية مع أنها تحمل مضامين أخرى.

أهم نتائج الدراسة :-

توصلت الدراسة إلى خلق منتج خزفى ذو شكل جديد أصيل يساعد على نشر ثقافة التراث الشعبى القومى بطريقة تشكيلية ووظيفية متطورة تسهم فى ترسيخ المفاهيم الجمالية للمنتجات الخزفية وزيادة الوعى الإبداعى فى أوساط المجتمع السودانى .

الإطار النظري :-

1/ الجذور التاريخية لصناعة الخزف في السودان :-

تقول كتب التاريخ أن صناعة الفخار كانت من أبرز صناعات المرويين وأبقاها آثاراً . وتعددت أنواع الفخار المروى عبر عمر دولتهم الطويل من حيث الأشكال والزخارف كما تعرضت صناعة الفخار عندهم للمؤثرات الخارجية .

وأمكن تصنيف الفخار المروى من حيث الصناعة إلى نوعين :-

يدوى تصنعه النساء ويشمل الجرار الكبيرة التي ظلت تحافظ على أشكالها منذ

العصور الحجرية حتى وقتنا الحاضر . والنوع الآخر من الفخار تم تشكيله بعجلة الفخار وكان يصنعه الرجال . ويلاحظ أن الفخار المروى في فجر الدولة كان بسيطاً ولم يكن هناك إهتمام كبير بتتويع أشكاله أو زخرفته . وبحلول العصر الهلنستي ، بعد القرن الثالث قبل الميلاد ، أصبحت صناعة الفخار فناً مرموقاً حيث زخرف الفخار وتم تلوينه بالألوان الزاهية المختلفة وتميز فخار النوبة السفلى في القرون الأولى بعد الميلاد بأنه أصبح أجمل فخار زمانه وزين بمشاهد الحيوانات المختلفة والأشكال البشرية والهندسية (أنظر الصورة رقم 2 ص 17) ويبدو أن المرويين عرفوا وأجادوا تقنية التحكم في درجات الحرارة واستخدامها الأمثل في صناعة الفخار ، وظلت تلك المهارة رصيذاً معرفياً لهم عندما شرعوا في إستخراج الحديد من الصخور . وقد تم العثور على أفران صناعة الفخار في مواقع عديدة إنتشرت بين كرمة ومروى . (عمر حاج الزاكي ، 2005م ، ص 114) .

وقد نالت مروى شهره لم تلقاها نبتة وكانت من القوة والإندهار مما جعل الباحثين أن يعتبروها فترة نشأة أولى للحضارة السودانية فيها توحدت العقائد على نمط واحد مما جعلهم يلتفون حول السلطة السياسية ، وأسسوا تشكيلاً ذو ملامح وخصوصية متفردة فخزفهم مطلي بالمركبات الكيميائية والألوان (مكي شبكية ، 1964م ، ص 180).

من الحفائر التي أجزتها مصلحة الآثار السودانية نجد أن هنالك جنساً زنجياً إتخذ أول خطوة نحو الحضارة في السودان نعرفها حتى الآن وكان ذلك بصناعة الفخار ولستعماله . فقد وجدت لديهم أواني فخارية كبيرة الحجم ذات لون بني أو أحمر داكن ، زخرفت بعضها من الخارج بخطوط متموجة . وفي قرية الشاهيناب نجد فخاراً يختلف عن فخار الخرطوم القديمة . فالفخار الذي نجده الآن مصقولاً على وجه العموم ، كما نلاحظ أن زخرفة الفخار تكون الآن بقطعة من المحار بدلاً عن الأمشاط التي كانت من عظم السمك . هذا وقد تطور إلى حد بعيد تزيين حافة الأواني كما نجد أنماطاً جديدة من فخار أسود وطاسات رقيقة مزينة بخامة سوداء . أما الفخار المحلى المميز لهذه المجموعة الحضارية فهو الخزف الجميل الذي يتسم برقعة جدرانه وصقل باطنه الأسود ، كما يمتاز بتزيين سطحه بزخارف ورسوم داكنة اللون رسمت على أرضية حمراء . ولكن أهم مميز لحضارة كرمة ذلك الفخار الممتاز الذي يعرف لدى علماء الآثار بخزف كرمة ، والذي يعتبر أجمل خزف عُف في وادي النيل منذ فجر التاريخ . (

نجم الدين محمد شريف ، 1971م ، ص 30 ، 35) . أنظر الصورة رقم (6) ، (7) ص 20

عليه فإن فترة حضارة الخرطوم والشهيناب هي إمتداد للحضارات القديمة التي أثرت على الثقافة السودانية حتى هذه المرحلة (تاور آدم كوكو ، 1999م ، ص3).

وتضيف سامية بشير أنه وفي عام 1944 تميزت حضارة الخرطوم بوجود الفخار وهذه السمة هي التي أكسبتها صفة حضارة وأخرجتها من نطاق الصناعات الضيق (سامية بشير ، 1999م ، ص38).

وعن الفخار في شمال السودان يضيف نجم الدين شريف قائلاً : يتميز الفخار في شمال السودان بجماله وأنه ملفت للأنظار ، فهناك نوعين من الفخار المنقوش الجميل ، فخار دنقلا وفخار سوبا ، فالأول غالباً يشتمل على أوان صغيرة من طينة ناعمة عليها طلاء أبيض أو أصفر فاتح أو برتقالي . وعلى الكثير من هذه الأواني نجد أشكالاً لحيوانات مطبوعة مختومة في الوسط ، كما نجد أيضاً شعارات مسيحية ، وعلى الكثير منها رسوم تقليدية مثل رؤوس الطيور والصليبان ، ويتضح أن هذا الفخار قد أقتبس من فخار مروى الجميل ، وأن النقوش والرسوم التي عليه تأثرت بالفن القبطي .

أما الفخار المنقوش الجميل الذي نجده في سوبا ، يحمل بين طياته سرّاً غامضاً ، فهو فخار جميل عليه طلاء أسود عمل بعد الإحراق ، وكذلك نجد على هذا النوع من الفخار زخرفة بنقط وعلى شكل زهور صغيرة بلون أحمر وأصفر فاتح . فالمستوى الفني الرفيع الذي نلمسه في هذا النوع من الفخار وزخرفته يدلان على وجود حضارة من ورائه . (نجم الدين محمد شريف ، 1971م ، ص 44 ، 45) .

2/ المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية :-

سيتناول الباحث المصنوعات الخزفية اليدوية في كل من شمال وشرق وغرب وأواسط السودان ، مع إختيار بعضاً من المدن الشهيرة التي تمثل هذه الجهات المختلفة وتزدهر فيها تلك المصنوعات الخزفية اليدوية .

أ/ المصنوعات الخزفية اليدوية في شمال السودان :-

توجد بمدينة شندي والتي تعتبر مركز الثقل لمدينة شمال السودان مجموعة من الصناعات اليدوية مثل ما توجد في العديد من مدن السودان ، ومن أبرز تلك المصنوعات اليدوية وأبقاها أثراً ، المصنوعات الفخارية من حيث الأشكال والزخارف ، فهناك الجرار الكبيرة والتي تصنعها النساء لنقل وحفظ السوائل والأواني المنزلية المختلفة كالأزيار والقلل والكوارى وأباريق الطين والأصائص والطواجن وغيرها .

وفي منطقة إمري يحدثنا بروفيسر محمد المهدي بشرى عن صناعة الفخار بأنها عادة ما تتوارث هذه المهنة كما أكد أغلب الرواة خاصة أولئك الذين يمتنون صناعة الفخار وهؤلاء عادة ما يسمون بالبقادة . ويقومون بصناعة الأزيار والقلل والبرابخ وقديماً (قواديس الساقية) . (محمد المهدي بشرى ، 2008م ، ص 62) .

ب/ المصنوعات الخزفية اليدوية في شرق السودان :-

أكثر ما يلفت النظر بمدينة كسلا والتي تمثل أهم مدن الشرق ، تلك الأسواق الكبيرة والمنظمة للحرفيين والصناع . فالباحث من تلك المدينة ولقد تعرف على كثير من الحرفيين الذين يقومون بتلك المصنوعات اليدوية الخزفية والتي تجد إهتماماً كبيراً من قطاع

عريض من سكان المدينة . فأسواق المدينة تمتلئ بالمصنوعات اليدوية الفخارية كالأزيار والقلل بألونها المميزة الحمراء والسوداء وبأحجامها المختلفة والمباخر وأباريق الطين والصاجات المصنوعة من الطين (الطواجن) والأصائن المزخرفة والأواني والكوريات الخزفية وغيرها .

ج/ المصنوعات الخزفية اليدوية في غرب السودان :-

للإستفادة من الطين المحلى ، تقوم النساء بصناعة الفخار البلدى ، وقد أشار الباحث الدكتور عبد المجيد أحمد محمد إلى أن الخزف الدارفورى أقدم من المروى فى السودان . حيث يعتبر الخزف من أهم مخلفات الحضارة الإنسانية ويقاس به عمرها . وكثيراً ما توجد به زخارف ورسومات تقدم بعض المعلومات عن حياة صانعيه ، فتقوم المرأة بصناعة أنواع مختلفة من الجرار كالدوانة وهى أكبرها حجماً والجر والبرمة والكلول أو الطاجون . هذا بالإضافة إلى الجبنة والمباخر . ولعل أكثر ما يثير الإعجاب أو الدهشة هو المقدره الهائلة فى صناعة الأشكال الكروية ذات الأعناق المفلطحة دونما إستخدام أى آلة أو معين آخر وهى تقوم بدفنها وحرقتها بروث البهائم . كما أنها تصنع السويبات وهى عبارة عن صوامع بلدية لتخزين الغلال ، كما تصنع الأباريق الطينية وتطليها بالألوان الجيرية التى تضعها فى شكل خطوط ومستطيلات ودوائر . (سليمان يحي ، 2007 ، ص 166) . أما الخزف فى منطقة جبال النوبة فهو من المصنوعات التى عرفوها منذ القدم واستعملوها فى حياتهم اليومية لأغراض الطبخ وجلب المياه والأكل والتخزين وهو جزء أساسى من الأدوات التى تحملها العروس فى الماضى إلى منزلها الجديد . فالخزف المصنوع محلياً ضيق العنق . وهناك مصنوعات أخرى مثل المزهريات ذات الشكل البيضاوى والقاعدة المسطحة والمباخر الدائرية الشكل والمكحليات الصغيرة وبعض القطع التى تستعمل لحفظ المواد الخاصة بأغراض الزينة والكوافير . (يوسف إسحق أحمد ، 2008 ، ص 178) .

د/ المصنوعات الخزفية اليدوية فى أواسط السودان :-

تشتهر مدينة أم درمان بأسواقها المتعددة التى تزدهر فيها المصنوعات التقليدية اليدوية المختلفة مثل المصنوعات الخزفية اليدوية كالأزيار والقلل والمباخر الطينية والأصائن وكثير من الأواني الفخارية المختلفة وغيرها .

3/ الأساليب الفنية والممارسة الصناعية فى المصنوعات الخزفية :-

فى منطقة إمرى بشمال السودان يقوم البقادة بتصنيع الأزيار والقلل وقواديس الساقية وفى صناعة هذه الأدوات يستخدم البقادی نوعين من الطين يسمى الأول (الكركتى) وهوطنين يوجد فى الجروف بالإضافة إلى طين يطلق عليه (الضكر) ويخلط البقادی بين النوعين ويضاف إليه روث الحمير بعد أن يسحن فى أرض صلبة ، تعجن هذه الخلطة وتترك حتى تتخمر لمدة يوم كامل ويجب أن لا يأخذ أكثر من يوم لأنه يؤثر سلباً على جودة الأزيار مستقبلاً ، والعمل كله يدوى ولا توجد أى أدوات سوى قطعة معينة من نبات القرع (قرع العوم) بالإضافة إلى شوكة من نبات النخيل للنقوش وفى الغالب تأخذ النقوش شكل المثلث أو الخطوط المتعرجة ، وبعد أن تكتمل الأزيار تترك لتجف لمدة أقصاها عشرة أيام بعدها تعرض لعملية الحرق . (محمد المهدي بشرى ، 2008 ، ص 62) .

أما في منطقة جبال النوبة فكل قبائل المنطقة لم تعرف إستعمال العجلة في صناعة الخزف ، فالخزف الذي يصنع من قديم وحديث ، كله مصنوع باليد والنساء هن اللاتي يقمن بذلك . وفي إنفراد النساء بهذه الصناعة دليل على إستمرارية نمط من أنماط الثقافة السودانية القديمة منذ العهد المروي، وربما قبله عندما تخصص الرجال في صناعة الخزف بالعجلة بينما إنفردت النساء بصناعة النوع اليدوي . أما طريقة صناعة هذا النوع من الخزف ، فتبدأ بحفر حفرة ذات شكل نصف كروي في الأرض ، ثم يوضع الطين بداخلها وتقوم النساء بضربه بصورة منتظمة ليعطى في النهاية الشكل المراد للإبناء ، ثم يملأ بمادة بطيئة الإشتعال مثل روث البقر وتوقد فيه النار . وبعد الحرق تصقل الأجزاء العليا من الإناء باللون الأحمر في بعض الأحيان ، وهذه هي نفس الطريقة التي إستخدمتها النساء المرويوات . وفي ذلك أيضاً نوع من التواصل الثقافي بين الماضي والحاضر الذي نراه في منطقة جبال النوبة .

لقد إستمرت صناعة الخزف في جبال النوبة بنفس الطابع القديم الذي عرف في السودان ومنذ العصر الحجري الحديث ، ولستمر عبر الحقب المتعاقبة حتى اليوم ، وقد تميز النوعان القديم والحديث بالشكل الدائري والسطح المكتنز المصقول باللون الأحمر والذي تنقش أجزاؤه الخارجية بالخطوط الوترية المتقاطعة ، وربما إكتفى الصناع في بعض الأحيان بصقل أجزاؤه العليا فقط . (يوسف إسحق أحمد ، 2008م ، ص 178) .

في مقابلة مع الحرفي عبد السلام قباني والذي يعتبر من أشهر صانعي المواعين الفخارية بالمنطقة الصناعية بأمر درمان ، إذ ظل يعمل في هذا المجال لمدة زادت عن الأربعين عاماً دون إنقطاع وهو خريج المدارس الثانوية .

يقول محدثي عن صناعة الفخار إنها من الحرف التي إستهوتته وهو في سن مبكرة إذ بدأ في هذا العمل منذ العام 1970م وحتى هذا التاريخ ولقد إكتسب من الخبرات والقدرات القدر الكبير الذي جعل منه خزاناً ماهراً ذاعت شهرته خاصة في صناعة الأزيار والأصايص .

يقول عبد السلام مخبراً عن طريقة تصنيع الأزيار والإصايص والتي تخصص فيها :- أن الطين المستخدم في هذه المصنوعات الفخارية ، هو طين " القريرة " والذي يجلب من البحر " نهر النيل " . ومن الفضاء الواسع غرب مدينة أم درمان نتحصل على " المغر الأحمر " ويخلط النوعين مع بعضهما داخل الخلاط الكهربائي وهو عبارة عن برميل كبير مصنوع من الحديد ومثبت على الأرض بواسطة ثلاثة قوائم حديدية ومن فوقه غطاء توجد في منتصفه ماسورة حديد قوية بها مجموعة من الريش المعدنية وهي التي تساعد على خلط ومزج الطين مع بعضه البعض ومثبتة في عجلة دائرية قطرها 30 سم تقريباً بها سير موصول بموتور قوى مثبت أعلى البرميل ، وفي قاعدة البرميل يوجد منفذين قطر الواحد 15 سم ويمكن التحكم في إغلاقهما وفتحهما بواسطة بلف التحكم لكل واحد .

وهذه المنافذ موجه كل واحدة منهما إلى حوض بانيو كبير لإستقبال الطين المخلوطة والذي يخرج شبه سائل ويصب أولاً في مصفاة مصنوعة من نملية السلك لتصفية الطين من الشوائب مثل الزجاج والحصى وغيرها .

بعد إكمال عملية الخلط والتصفية ينقل الطين إلى مكان قرب " العجان " (أنظر الصورة رقم 3 ص 17) وهو عبارة عن ماكينة ضخمة بها مستودع لإستقبال الطين وعجنه لمدة خمس دقائق ، بعد خروج الطين من هذه الماكينة بواسطة فتحة سفلية ، ينقل الطين وقد أصبح ناعماً ونظيفاً ويترك لمدة ثلاثة إلى عشرة أيام ليحجف ويتبخر الماء في الحوض الخاص بذلك .

هنالك عاملان بالمصنع يقومان بمساعدة (الأوسطى) الحرفى الجالس على كرسى الدولاب اليدوى (أنظر الصورة رقم 4 ص 17) والذي يرتفع عن الأرض بمقدار المتر . والدولاب عبارة عن قرص خشبى يبلغ قطره حوالى 80 سم مثبت على الأرض بعمود ويخرج من مركزه عمود رأسى بطول المتر وربع المتر ومثبت على هذا العمود قرص معدنى دائرى يتراوح قطره ما بين 20 إلى 25 سم توضع عليه عجينة القطعة المراد تصنيعها ، وبواسطة قدم الأوسطى يتحرك القرص الخشبى فى الأسفل ومن ثم يتحرك معه القرص الصغير بالقطعة عكس عقارب الساعة .

يقوم العامل بنقل الطين المجهز قطعة قطعة إلى الحرفى الجالس على كرسى الدولاب فى شكل إسطوانة (Coil) طولها 20 سم وقطرها 5 سم تسمى (شطفة) ويبدأ الحرفى فى وضع اللبانات الأولى للقطعة المراد تشكيلها وهو يحرك الدولاب بواسطة قدمه ، ويبدأ الشكل فى الظهور تدريجياً وذلك بضغط الطين باليدين ويرتفع تدريجياً إلى أعلى وباستخدام (السادوف) وهو عبارة عن قطعة من الحديد طولها 15 سم وعرضها 3 سم تضغط على الطين المشكل وتجعل سطحه مستوياً ، بعدها يستخدم الحرفى قطعة أخرى من الحديد فى شكل سكين تسمى " الجارود " وهى تقوم بإزالة الطبقات الزائدة وتترك خشونة لتثبت فيها الشطفة التالية . وفى أثناء ذلك يأخذ الحرفى الماء بيديه من إناء موضوع بجواره ليلبل الطين بين الحين والآخر حتى تسهل عملية التشكيل والحركة الدائرية المستمرة (أنظر الصورة رقم 5 ص 17) .

ويضيف عبد السلام أن صناعة الزير تمر بخمس مراحل وهى عبارة عن عدد الطبقات التى تكونه ، أما الأصيص فيمر بمرحلة واحدة أو إثنين حسب الحجم المطلوب .

يشتهر عبد السلام بعمل أزيار السكة حديد ، حيث كانت تتعاقد معه لتمويلهم بكميات كبيرة من الأزيار لجودة صناعته وقوتها ومتانتها . أما الآن فهو يقوم بالتصنيع للسوق ولبعض الزبائن الذين إعتادوا الشراء من محله .

بعد الإنتهاء من عمل الدولاب وبواسطة (السلاية) وهى قطعة من السلك الرفيع أو من الخيط ، تستخدم لفصل الإناء الذى إكتمل تشكيله عن قرص الدولاب لتشكيل الإناء التالى (

تؤخذ القطعة سوى كانت زير أو أصيص إلى مكان التجميع وتترك لمدة يومين أو ثلاثة لتجف وبعد ذلك تنقل إلى الفرن فى شكل مجموعات ، والفرن عبارة عن غرفة أبعادها $3\frac{1}{2} \times 3\frac{1}{2}$ متر وارتفاعها 4 أمتار وسقف الغرفة مصمم على شكل أقواس متقاربة وبين كل قوس والآخر فتحة بمقدار 15 سم وأرضية الغرفة مبنية بالطوب الأحمر ، حيث توجد فتحات كثيرة لتخرج منها الحرارة الشديدة من الأسفل لحرق المصنوعات ، والمدخل عبارة عن باب طوله مترين وعرضه نصف متر يغلق أثناء عملية الحرق .

وهناك خارج الغرفة توجد ماسورة حديد طويلة قطرها 15 سم وبها فتحات لدخول الهواء إلى غرفة الحريق وهذه الفتحات يتحكم فيها بواسطة بلوفة . وفي نهاية الماسورة موتور ضخ جداً موصول بعمود به مروحة كبيرة تساعد على دفع الهواء داخل الماسورة بضغط عالٍ ليدخل بدوره إلى غرفة صغيرة بها حطب الحريق المشتعل ومنه إلى غرفة الفرن . بعد مرور ثلاثة ساعات من وضع الأتية المراد حرقها ، يصعد العامل إلى أعلى الغرفة وينظر من خلال الفتحات إلى الداخل ليتأكد من مستوى الجودة للحريق وكلما وجد نقصاً في ذلك يقلل الفتحات العلوية بواسطة الطوب جزئياً وهو متحرك إلى الأمام لتركيز النار على الأجزاء التي تتطلب كمية أوفر من الحرارة وبذلك يضمن أن كل الأتية قد تم إحراقها بالكامل .

إجراءات الدراسة :-

وصف وتحليل نماذج من المصنوعات الخزفية :-

يستخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، بإعتباره منهجاً يتوافق مع طبيعة الدراسة من خلال الرصد للأعمال اليدوية ذات الصلة بموضوع الدراسة وتحليل قيمها الجمالية لغاية الوصول للنتائج المرجوة ، مبتدئاً بتحليل النموذج الأول وهو عبارة عن مبخر مصنوع من الطين المحروق .

النموذج الأول :-



1/ الإسم : مبخر

2/ المنطقة : أم درمان

3/ نوع الخامة : الطين المحروق

4/ النظام البنائي : (الهيكل العام)

شكل هندسي يشبه الكأس إرتفاعه 25 سم ضامر في منتصفه .

5/ محتوى الشكل التصميمي :-

يتكون التصميم من قاعدة دائرية قطرها 15 سم ، تتدرج في شكلها المخروطي إلى أعلى بمقدار 8 سم حتى تصل إلى دائرة قطرها 7 سم ومن ثم يعلوها شكل دائري يصل قطره إلى 9 سم يتدرج إلى أعلى نحو الخارج بإرتفاع 7 سم ويرتبط بهذا الجزء جسم المبخر بقطر دائرة يبلغ 18 سم وهو مخروطي الشكل ينساب إلى الأسفل بمقدار 15 سم والذي تظهر فيه الخطوط المتقاطعة والمحفورة بعناية بجانب ثلاث فتحات في شكل مربع طول ضلعه 3 سم ، وبين هذه المربعات المحفورة ، توجد الخطوط المتقاطعة . (أنظر الصورة أعلاه) .

6/ القيم الجمالية والفنية :-

في هذا التصميم المتفرد لهذا المبخر تبدو جماليات هذه الأشكال الخارجية وهي تتسامى في تكامل مبهر واتسجام كامل . وتتجسد معاني الجمال في هذه الكتلة برقة الأشكال المتموجة في الوسط وفي حافة المبخر بأسلوب الـ Contrast of Motive بمعنى تصغير الوحدات الزخرفية في موضع وتكبيرها في موضع آخر ، حيث لجأ هذا الحرفي بما إكتسبه من خبرات في أسلوب عمله إلى التلقائية مما أكسب هذا العمل صورة مفعمة بالجمال ، حيث التناسق الشكلي والتوازن في توزيع الملامس بإيقاع منتظم على سطح

المبخر وفي إحكام هندسى رائع وتجويد جمالى وأداء متفرد يعكس مدى القدرات والرؤى لهذا الحرفى خاصة فى تمكنه من عمل التمجوجات برقة وسلاسة فائقة تعكس فلسفته الجمالية .
هذا المبخر عبارة عن كتلة واحدة من الطين تم تشكيلها بمهارة حيث أعطى حجمها بهذه النسبة قيمة جمالية لا تخطئها العين حيث تظهر الفخامة وجاذبية الشكل ، فهذا الحرفى بما أوتى من مهارة وقدرات فنية عالية إستطاع أن يتابع أفكاره ويمسك بأدواته فى إتجاه مناسب يخدم وحدة العمل الفنى فى تناسب وتناسق واضح .
البساطة فى زخرفة السطح بهذه الخطوط المتقاطعة ومعالجة الفراغ تؤكد ما لهذا الحرفى من قدرات إبداعية ، فالأسلوب والمنهج الذى إنتهجه فى هذا العمل المترابط والمتوازن وجمال الإيقاع للخطوط المتعرجة والتموجة وشكل الدوائر يتحاشد فى هارمونية رائعة ، فضلاً عن لون الطين المحروق ، كل ذلك يعطينا الإحساس بالمتعة والجمال والروعة .

7/ الوظيفة:-

يستخدم المبخر كأداة تقليدية فى المنازل للبخور ، إذ توضع عليه جمرات صغيرة من النار ، ومن ثم توضع عليه نوع من لبان البخور ، أو قطع صغيرة من حطب الصندل للبخور ، خاصة فى المناسبات كالجرتق والختان والحناء وغير ذلك من المناسبات الإجتماعية إذ يعطر به المكان.

النموذج الثانى :-



- 1/ الإسم : أصيص
- 2/ المنطقة : أم درمان
- 3/ نوع الخامة : الطين المحروق
- 4/ النظام البنائى : (الهيكل العام)

عبارة عن وعاء مجوف من الطين المحروق ذو قاعدة دائرية الشكل يبلغ قطرها 21 سم ويبلغ إرتفاعه 35 سم ، ذو فتحة علوية دائرية الشكل قطرها حوالى 28 سم والشكل العام شبه بيضاوى.

5/ محتوى الشكل التصميمى :-

تم تكوين وبناء هذا التصميم على قاعدة دائرية الشكل قطرها 21 سم ويتدرج للشكل البنائى إلى أعلى مكوناً شكلاً بيضاوياً ليصل إلى إرتفاع 35 سم ، حيث ينتهى بفتحة دائرية يبلغ قطرها 28 سم ومدببة الحواف بها خطوط محفورة بزواوية ميل 30 درجة وأسفل تلك الحواف وبمسافة 5 سم حفرت خطوط لولبية الشكل ومتقاربة إلى بعضها ومن ثم تأتى الخطوط العرضية والطولية مكونة شكل نسيج يغطى سطح الأصيص بكامله إلا من مسافة 5 سم قرب القاعدة . (أنظر الصورة أعلاه)

6/ القيم الجمالية والفنية :-

أول ما يلتفت النظر في هذا العمل الفني ، البساطة في التصميم وجمال الفكرة والرؤية الفنية المحكمة في وضع الأشكال وتوزيعها بتناسق وتوازن ، ومما يؤكد المقدره الإبداعية والفنية لهذا الحرفي هو إمتلاكه للذوق الرفيع في توزيع الوحدات الزخرفية على جوانب الأصبص والتي تتمثل في شكل الخطوط الأفقية والرأسية والتي تداخلت مع بعضها في شكل نسيج بسيط محكم ، حيث إستطاع أن يحافظ على الأبعاد القياسية بين كل شكل والآخر .

فالملمس المستخدمة في هذا التصميم عبارة عن مجموعة خطوط أفقية وأخرى رأسية إستخدم فيها أدواته بكل تلقائية وتدل على الإنفعال بهذا العمل والإنسجام الواضح وبحسه الفني العالي إستطاع معالجة الفراغات بعمل بعض الخطوط اللولبية وتوزيع موزون الأبعاد والمسافات مع وضع خطوط بزوايا ميل 30 درجة في حافة الأصبص أضفت عليه ألقاً وجمالاً .

الخطوط الأفقية والرأسية المنسوجة هي التي تلفت نظر المشاهد لأنها تشكل مركز السيادة في هذا التصميم . فقدرات هذا الحرفي وملاكمته الطبيعية ومواهبه أوصلته إلى مرحلة الإبداع ، فالفكرة تنصب في إنجاز عمل فخم وجميل .

اسلوب هذا الحرفي في وضع تلك الخطوط بهذه الطريقة ربط التصميم مع بعضه في إحكام واضح وتجانس مدهش . فالتصميم يمتاز بالبساطة والرقه وقد أحكمت صياغته بقوة وتمت معالجة الفراغ بمهارة وذكاء ، فالتنوع والجمع بين تلك الوحدات بهذه الخطوط والتوزيع الشكلي في المساحات ومعالجة الفراغ بهذه الكيفية أكسب التصميم القيمة الجمالية المستهدفة .

7/ الوظيفة:-

يستخدم كإناء لزراعة الزهور ونباتات الزينة ، حيث يوضع في فناء المنازل أو المؤسسات أو أى مكان آخر إذ يضيف قيمة جمالية على المكان فالوظيفة نفعية وجمالية .



النموذج الثالث :-

- 1/ الإسم : جبنة
- 2/ المنطقة : أم درمان
- 3/ نوع الخامة : الطين المحروق
- 4/ النظام البنائي : (الهيكل العام)

عبارة عن شكل يتكون من ثلاثة أجزاء مرتبطة ببعضها وهي الوعاء الكروي المجوف ويتصل به عنق اسطواني ومخروطي الشكل ومجوف أيضاً ويلتحم هذين الجزئين بمقبض على هيئة نصف دائرة وهي اليد التي تحمل بها الجبنة.

5/ محتوى الشكل التصميمي:-

الشكل العام لهذه الجبنة طوله 17 سم ، فالجزء الكروي المجوف يبلغ طول قطره 9سم والعنق اسطواني الشكل بطول 5.8 سم وفي قمة هذه الاسطوانة فتحه كمثرية الشكل وذلك لكي يسهل صب محتوى الجبنة ، أما اليد النصف دائرية فتعلو الجسم الكروي بمقدار 3 سم حيث

يلتحم مع الجسم الاسطواني ومن ثم يثبت على الشكل الكروي آخذه شكل نصف دائره . وعموماً لا تتفصل الجبنة عن القاعدة الدائرية المصنوعة من القماش حتى تقف عليها وتسمى دارجياً (بالوقاية) . (أنظر الصورة أعلاه).

6 / القيم الجمالية والفنية :-

التصميم ببساطة الشكل يجمع بين أقصى درجات القوة في البناء مع أقل قدر من خامة الطين المكونة له ، فالحرفي الذي قام بصناعة هذه الجبنة بمعايير قياسية لا تعدو أن تكون إلا معايير للتقدير الجمالي ويبدو واضحاً تقديره وتفكيره في أن يترك كل الشكل دون أي ملامس تذكر على السطح . فالبساطة في التصميم وجمال الفكره والرؤية الإدراكية الفنية أظهرت الشكل في توازن وتناسق تام بأبعاده القياسية. أسلوب هذا الحرفي يظهر قدراته وملكاته الفنية فقد أحكم صياغة الشكل للفائدة النفعية وبمهارة وذكاء استطاع إظهار القيمة الجمالية في عمومية الأداء والتنفيذ.

7 / الوظيفة :-

تستخدم الجبنة كإناء لصنع وحفظ القهوة.

النتائج :-

- يتميز الحرفي السوداني خاصة من يقوم بالصناعات الخزفية اليدوية بمقدرات فنية عالية ومهارات تشكيلية متميزة .
- الممارسات في الثقافات المادية المشتركة تعكس مدى التمازج الثقافي لهذه الموروثات الشعبية والتي تبرز التناعم والتوافق والصلات بين ثقافات السودان منذ القدم وحتى الآن .
- تبدو الأصالة في المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية القديمة وتتصف بروعة صناعتها وجمال زخارفها .
- أثبتت المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية أن إنسان السودان ومنذ القدم هو فنان بالفطرة والتي أورتها للأجيال اللاحقة من بعده وأن أعماله ترقى إلى مصاف الفنون العالمية .

مناقشة النتائج :-

إن المصنوعات الخزفية اليدوية السودانية تمثل إبداعاً تشكيلياً قائماً على تراث حضارى عريق له أصوله وقواعده وتحمل الكثير من القيم الجمالية والنفعية ، وتعتبر من الجوانب المهمة في حياة الشعوب والمجتمعات لما لها من دور متعاظم في الإستيفاء بمتطلبات حياتهم .

فالمصنوعات الخزفية اليدوية السودانية تعتبر من الفنون الأصيلة ذات التقاليد الموروثة والتي تمتد إلى جذور عميقة في التاريخ ، وهى مادة فلكلورية تتميز بطلاقة التعبير . ويجوز لنا القول أن هذه المصنوعات الخزفية اليدوية قد شحذت الذوق الفنى والحس الجمالى والخبرة المهنية والمهارة اليدوية والثقافة الجمالية ، مما جعل منها تحفاً رائعة تبدو بمثابة عمل فنى صادق يتميز بالجمال والعفوية والذوق الرفيع والأمانة الصادقة وتحمل هوية بينته ومتطلبات مجتمعه وتؤكد قيم الأصالة والهوية السودانية .

التوصيات :-

- الإهتمام بربط الفرد بالموروث والمحافظة على القيم والموروثات التي تشكل واقعنا الثقافي ، بجانب ربط الفرد بمجتمعه ، والإهتمام بالمصنوعات الخزفية اليدوية السودانية وذلك للمحافظة على القيم الجمالية والتي تعبر عن هوية المجتمع .
- الإهتمام بالمصنوعات الخزفية اليدوية السودانية كصناعات لها دورها الهام والريادي في وضع اللبنة الأولى لقيام صناعات كبيرة ، بجانب القيام ببناء ورش ذات مواصفات محددة لراحة المنتجين أولاً ولزيادة الكفاءة الإنتاجية .
- تحسين الأوضاع الإقتصادية والإجتماعية للإنسان البسيط المنتج لهذه المصنوعات اليدوية حيث الإستثمار الحقيقي ذى المردود الإيجابي للأوطان هو الإستثمار في المواطن ورفاهيته وهي التي يحتاجها ليكون قادراً على الإنتاج ومن ثم الإبداع الذي ينهض بالدول .
- على الأجهزة الإعلامية المرئية والمسموعة الإهتمام والتعريف بالتراث وبث الأفلام التوثيقية لنشر المعرفة على كافة أرجاء المعمورة فالمصنوعات الخزفية اليدوية السودانية تعتبر من التراث الأصيل الذي يمثل عنوان الأمة ويعكس أصالتها .

قائمة المصادر والمراجع

المراجع :-

- يوسف إسحق أحمد (2008م) الماضي المعاش في جبال النوبة (منطقة الأناج) دار عزة للنشر والتوزيع .
- محمد المهدي بشرى (2008م) الفولكلور والحياة الشعبية في منطقة إمرى ، المسح الفولكلوري لمنطقة إمرى ، وحدة تنفيذ السودان ، مؤسسة الصالحاني - سوريا ط 1 .
- مكي شبكية (1964م) السودان عبر القرون ، ط2 ، دار الثقافة بيروت ، لبنان.
- نيرمين خفاجي (2014م) الحرف التقليدية في مصر بين التراث والإستلهام ، القاهرة ، ط .
- نجم الدين محمد شريف (1971م) السودان القديم وآثاره ، مصلحة الآثار ، قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم / ط 1 .
- سامية بشير (1999م) تاريخ الحضارات السودانية القديمة منذ أقدم العصور وحتى قيام مملكة نبتة ط2 ، مصر ، القاهرة.
- سليمان يحي (2007م) موسوعة تراث دارفور (الجزء الأول) شركة مطابع السودان للعملة المحدودة ، الخرطوم ، ط 1.
- عمر حاج الزاكي (2005م) مملكة مروى ، التاريخ والحضارة ، وحدة تنفيذ السودان قسم التأليف والنشر ، جامعة الخرطوم / ط 1.

الدراسات والرسائل الجامعية :-

- دراسة (حيدر عبدالقادر عبدالله ، 2008م) بعنوان : (أثر إستخدام طين أراضي ولاية الخرطوم في جودة إنتاج الخزفيات) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية.
- دراسة (ليلي مختار أحمد آدم ، 2007م) بعنوان : (إستخدام طينة مروى في إنتاج الخزف الصناعي) (دراسة تحليلية تطبيقية) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية.
- دراسة (فوزي عثمان مصطفى ابراهيم ، 2009م) بعنوان : (جماليات الخزف وطبيعة الأشياء) (دراسة تحليلية تطبيقية) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية.



مجلة العلوم الإنسانية المجلد الأول (2016م)



دراسة (تاور آدم كوكو ، 1999م) بعنوان: (الخزف التقليدي المعاصر في جبال النوبة) رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا ، كلية الفنون الجميلة والتطبيقية.

المقابلات الشخصية :-

1/ عبد السلام قباني ، 2010/2/21م الساعة العاشرة صباحاً ، أم درمان .

الشبكة العنكبوتية :-

1/ alsolaab. goodbb- net>t 1350 – topic

2/ www. Inthecitysudan.com.

3/ aawsat.com>home>article.